أعظم شعراء المدرسة الحديثة

بقلم رشيف خوري

بلغ السهى بشموسه وبـــدوره ... لبنان وانتظم المشارق صيتـــه
حامي الحقيقة لا القديم يؤوده ... حفظا ، ولا طلب الجديد يفوتـــه
لبنان والخلد اختراع الله لـــم ... يوسم بازين منهما ملكوتـــه
ملك الهضاب الشم سلطان الربى ... هام السحاب عروشه وتخوتـــه!

حين يدعو المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب في الجمهورية العربية المتحدة للاحتفال بذكرى احمد شوقي ، فاي بلد عربي احق من لبنان بان يلبي الدعوة باسما حتى من خلال دموعه ، متهللا حتى برغم جراحه . فلقد غنى شوقي طبيعة لبنان ارق غناء واعذبه ، واشاد بمواهب بنيه لم يخش في ذلك سرفا او غلوا . ويااليت شوقي كان اليوم حيا بجسمه اذا لصور بطولة الشعب اللبناني في مقاومة الطغيان والفساد ، وفي تمسكه باستقلاله ورفضه ان يكون شبرا من ارضه قاعدة احتلال واستعمار ، وفي وفائـــه للرابطة المقدسة : رابطة الاخاء القومي العربي ، وفي نبذه سموم التعصب والطائفية التي يريد المجرمون بها قتله ولن يستطيعوا .

اننا نحن اللبنانيين ليداخلنا الزهو ويهزنا الامتنان العميق حين نشعر بتلك الصداقة الحميمة التي كانت تشد شوقي الى تربة لبنان ومثقفي لبنان . فما كان شوقي في السبعة الاعوام الاخيرة من حياته يرضى ان يجده الصيف الا على موعد مع الجداول والشلالات ، والمروج والنجوم والنسمات، في جبل لبنان وسفوحه . وما كنا ونحن يومئذ في طور النشأة ، نرضى الا ان نتطفل فنجلس ولو على بعد في المقهى الذي يختاره شوقي لجلوسه ، فنرى امير الشعراء ونسعد برؤيته وان كنا من المؤمنين بالنظام الجمهوري حتى في الدولة التي قصورها احلام وعدتها افراح واتراح ، وفي احيان اوهام ، اعني دولة الشعر .

واتيح للسماء ان تحتضن شوقي وهو يستلهم الوحي لنظم طائفة من روائعه التي لم يتخذ فيها لبنان موضوعا له ولكن اثر لبنان سار فيها ، رابض في قوافيها . ومن تلك الروائع مرثاته في سعد زغلول قائد الحركة الوطنية المصرية في مرحلة منطوية من مراحل النضال الوطني العربي . قال شوقي ، وكان يومئذ في زحلة يصف وقع النبأ الفاجع ويصور ولو من وجه غير مباشر ، احساسنا المشترك في معركة المصير المشترك :

سائلوا زحلـه عن اعراسهـــا ... هل مشى الناعى عليها فمحاها
عطل المصطاف مـن سـماره ... وجلا عن ضفة الوادي دماهـــا
فتح الابواب ليـلا ديـرهـا ... والى الناقوس قامـت بيعتاهـا
قلت : يا قوم اجمعـوا احلامكـم ... كل نفس في وريدها رداهـــا

وبادل اللبنانيون شوقي حبا سمحا بحب سمح ، واعجابا سخيا باعجاب سخي . وخصوه عندهم بمنزلة فريدة ندركها كيفما تلمسنا جوانب الحياة العاطفية والعقلية في الشعب اللبناني . فشوقي ماثل في كل كتاب مدرسي من كتب المطالعة والمحفوظات، وسواءمنها ما اعد للكبار او الصغار، وشوقي ماثل في مادة الادب العربي التي يكلف درسها طلاب شهادة التعليم الثانوي في مدى ثلاث سنوات او اربع . ودواوين شوقي ومسرحياته تملأ رفوف مكتباتنا ، وقواله تحلي صدور جمعنا ومجالسنا وتردد على افواه شعب يزوده بحكمه او تطربه بنكتة ، او تسكره بنغمة ، وتفتح له افقا من التسامح او تشيع في جوانحه الحماسة وحب الفداء .

فاي صبي لبناني لا يعرف قول شوقي بلسان الديك دعاه اليه الثعلب المتنسك .

بلـغ الثعـلب عنـي ... عن جدودي الصالحينـا
عن ذوي التيجان مـن ... دخلوا البطن اللعينـا
انهم قالوا ، وخير القـول ... قـول العارفينـا
مخطيء من ظن يومـا ... ان للثعلب دينـا

واي فتى لبناني لا يترنم بقول شوقي :

وللحرية الحمراء بـاب ... بكل يد مضرجة يـدق

او قوله :

ولد الرفق يوم مولد عيسـى ... والمروءات والهدى والحيـاء
وسرت آية المسيح كما يسري ... مـن الفجر في الوجود الضياء

او قوله :

ولد الهدى فالكائنات ضيـاء ... وفم الزمان تبسم وثنـاء
كتبت اسامى الرسل فهي صحيفة ... في اللوح واسم محمد طغراء

او قوله :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت ... فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

فشوقي اذا ، يعيش في اذهان اللبنانيين ويعايشونه في ضمائرهم . وانه لخير اسلوب يستطيع به شعب ان يكرم شاعرنا ويخلد ذكراه ... على ان شوقي جدير بمزيد من الاحتفال له والعناية بآثاره توفية لحقه، كيما يعيش عيشا اعمق واخصب في ضمائرنا واذهاننا نحن اللبنانيين ونحن العرب جميعا . وما زالت تراودني امنية اريد ان اتمناها الساعة ، على الفنانين المصورين وهي ان يخرجوا اشعار شوقي في الحكايات ممثلة في رسوم معبرة دقيقة وانيقة ، ليصبح صغارنا اشد اقبالا عليها ورغبة فيها وافادة من جمال العبرة فيها ورونق العبارة .

صفحة شوقي الباقية

بقلم عباس محمود العقاد

كان « احمد شوقي » علما في جيله .

كان علما للمدرسة التي انتقلت بالشعر من دور الجمود والمحاكاه الالية ، الى دور التصرف والابتكار . فاجتمعت له جملة المزايا والخصائص التي تفرقت في شعراء عصره . ولم توجد مزية ولا خاصة قط في شاعر من شعراء ذلك العصر الا كان لها نظيرة في شعر « شوقي » من بواكيره الى خواتيمه . وربما تشابهت تلك الخصائص او اختلفت ، وربما تساوت او تفاوتت ، وربما كثرت او قلت ، ولكنها — على اية حال من حالاتها — موجودة على صورة من الصور في كلام شوقي ، محسوبة بين غرره وآياته هفواته، على نحو من الانحاء

ومهما تختلف معايير لنقاد ومذهبهم في تقييم لتراث الشعري الضخم الذي ابدعه شوقي ، فانه يبقى في ادبنا العربي المعاصر اعظم شعراء المدرسة الاصيلة المحدثه ، Néo classique ، احتفظ الشعر على يديه بعبقرية التعبير العربي الاصيل ، ودخل الشعر معه في آفاق طليقة جديدة ، ولقي الشعر تجديدا في الكثير من الصور والافكار والقوالب الفنية ، واخصها القالب الحواري المسرحي . واذا عدت قمم الشعر العربي من ابى تمام الى المتنبي الى غيرهما ، فشوقي احدى هذه القمم ، وليس هو ادناها ، بل لعله اعظمها ، لا يفوقه الا ابو الطيب المتنبي امتدادا حسنا في العلاء بينما يتفوق شوقي على المتنبي في اتساع قاعدته .

كان شعري الغناء في فرح الشرق وكان العزاء في احزانه
قد قضى الله ان يؤلفنا الجرح وان نلتقي على اشجانه !

من ذا الذي استطاع ان يوجز قصة كفاح الشرق العربي بتعبير اوقع واروع ؟

بقي ان للقصة تتمة لم يتح لشوقي ان يعيشها وهي اننا في هذا الشرق لن يؤلفنا الجرح وحده بعد اليوم ، ولن تؤلفنا الاشجان وحدها ، وانما يؤلفنا النصر ايضا وافراح النصر على الاستعمار والرجعية في ظل حياة من العزة والكرامة ، حياة من السيادة والحرية والعدالة والسلم ، الحياة التي تنمو فيها قوميتنا وانسانيتنا حق النمو ، وينمو لنا معها ادب قومي انساني يكون شوقي احدى معالم الطريق العظيمة اليه .

رئيف خوري

كان محمود سامي البارودي — مثلا — شاعرا رائع اللفظ بليغ العبارة ، وكانت تصدر عنه المتانة والفخامة ، وبلاغته بلاغة السراوة والجزالة ، وربما رجحته هذه المزايا على شوقي في ناحيتها . ولكن « شوقيا » يعوضها بما يضارعها او يفوقها في آياته ومأثوراته وهو سلاسة اللفظ وعذوبة السياق ، ورقة النغمة الموسيقية ، وبخاصة في منظوماته الاخيرة

وكان لحافظ ابراهيم مجاله في القوميات والمواقف الوطنية والمواسم الشعبية ، وكان مقام شوقي في القصر يحول بينه وبين الصراحة التي يستطيعها حافظ في مجاله الطليق ، بعيدا من مراسم السياسة وتقاليد الحواشي الملكيه . ولكن شوقيا كان في صف ينازع السيطرة الاجنبية التي طغت على الحاكم والمحكوم ، وعلى الامير والمأمور ، فلم يحجم عن المشاركة في المواقف الوطنية كلما اتفق فيها الوطن كله على الواغل الاجنبي وعلى السيطرة الخارجية . فحفلت دواوينه بالقصائد السيارة التي تناقلها الرواة ولا يزالون يتناقلونها ، وسمع العالم العربي منه كما سمع من « حافظ » في هذا المجال .

وكان التاريخ المنظوم معهودا في جيل شوقي وقبل جيله، ولكن القصيدة المطوله التي نظمها « شوقي » عن كبار الحوادث في وادي النيل — عمل مستقل المقصد ، مجتمع الاجزاء يصح ان ينفرد وحده في بابه ، كأنه شريط متسلسل من اشرطة الصور المتحركة ، يعرض للناظرين مواقف الدول والمناسك والاديان ، من أقدم عصور وادي النيل .

وكانت المسرحية المنظومة ، شعرا وزجلا ، قد اخذت في الظهور عند مولد شوقي او قبله ، ولكن مسرحيات شوقي اقرب الى وقائع التاريخ وحوادث الحياة ، وليست كسابقتها التي كانت على نسق كنسق العجائب والمغازي ، واسلوب كأسلوب البطولات في ادب الفروسية .

ونظمت المواعظ والامثال قبل ايام شوقي ، وفي ايامه . ولكنه هو قد نظمها مبتكرا ولم ينظمها ناقلا او مترجما على نمط الرواة السابقين

وجملة ما يقال عن مكان شوقي في مدرسته — مدرسة الانتقال من الجمود والمحاكاة الالية الى التصرف والابتكار — انه كان صورة كبيرة لتلك المدرسة ، تشبه الصور الصغيرة